توظيف لفظة (الصباح) في شعر ابن زمرك الأندلسي

الاستاذ المساعد الدكتور

شيماء هاتو فعل البهادلي

جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص:-

استدعى الشاعر في توظيفه للفظة (الصباح) مفردات أشار إليها مرة تصريحاً ، وأخرى تلميحاً ألا وهي : الزمان ، واللون ، والمكان ؛ فاصبح الزمان متجلياً في لفظتي الليل ، والنهار ؛ وهذا طلب منه توظيف اللونين : الأبيض (النهار) ، والأسود (الليل) ؛ فنجد أبياته مكتنزة بألفاظ توحي بالنور، والاشراق ، والبهجة بما يدل عليه الصباح ـ البياض ـ وما يوحي به إلى العتمة ، والسواد ، والأمور الشديدة الخطب ، والزوال ، والفناء ، وتكديس الهم ، والغم وهذا ما دل عليه توظيف لفظة الليل ـ السواد ـ فضلاً عن التوظيفات التي تناثرت في زوايا البحث واعطت توصيفاً جميلاً لما أضمره النص سعى الشاعر إلى إيصاله للمتلقي .

Making USE OF THE WORD OF AL _ SABAH IN Poetry of Al-Andalusian Poet Ibn Zamrak

Assist. Prof. Dr Shaimaa Hato Feaal Al-Bahadely

University of Basrah, College of Education for Human Sciences

Abstract:

The poet summoned in the function of the word (morning) and what corresponds to the word of vocabularies who referred to it once denotatively and another connectively, namely time and colour. Then the time became manifest in the night and the day, and this required him to employ colour: two colours: white and black. We find his verses enriched with words denoting light, brightness and joy, indicating the morning - white - and denoting the darkness, blackness, things severe speeches, the disappearance and the total ruin and the accumulation of sorrow and affliction. This indicates the employment of the word night - blackness.

المقدمة:-

ابن زمرك هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي وُلِدَ (٧٣٣ هـ- ٧٩٥ هـ) وزير من كبار الشعراء والكتَّاب أصله من شرق الأندلس، ومولده بروض البيازين (بغرناطة) تتلمذ على يد لسان الدين ابن الخطيب وغيره ، وتقلد مناصب كتابية إلى أن جعله أمير غرناطة (الغني بالله)* كاتم سره سنة ٧٧٣هـ ، ثم المتصرف برسالته وحجابته ، عُزِلَ مدة ، وأُعِيد إلى مكانته، فأساء إلى بعض رجال الدولة ، فختُمَتْ حياته بأن بعث إليه ولي أمره من قتله في داره وهو رافع يديه بالمصحف ، وقُتِلَ من كان معه من خدمه وبنيه ، وقد سعى في الوشاية بأستاذه لسان الدين ابن الخطيب حتى قُتِلَ خنقاً فلقي جزاء عمله ، وقد جمع السلطان ابن الأحمر شعره وموشحاته في مجلد ضخم سماه (البقية والمدرك من كلام ابن زمرك)[١] ضم ديوان ابن زمرك أغلب الأغراض الشعرية ؛ ومنها الصباحيات ؛ جمع صباحية وهي قصيدة مدحية تُنشَد للأمير في الصباح ، غالباً ما تبدأ بالألفاظ (أنعم صباحاً ، ألا عم صباحاً ، نعمت صباحاً) ملقياً تحيته على ممدوحه[٢] ، ومنها قوله : [٣] من البسيط

أنعْم صباحاً بثاني العـيد يا ملكاً أيَّـامُهُ كُلُـهَا عيدٌ وأَفْراحُ

قَضَّيتَ بالأمس ما قَضَّيتَ من سُنَنٍ بـهَا تَنـعَّمُ أَجْسادٌ وأَرْواحُ

هذا زمـانُ سُعُودٍ لا انقِضاءَ لَهُ في وَجْهِهِ غُررٌ تبدو وأوْضاحُ

بعدما ألقى الشاعر تحية الصباح على أميره متمنياً له أن تكون أيامه أعياداً وأفراحاً ومسرّات يطلب الأذن من الأمير للانصراف إلى القيام بأعماله المُوْكَل بها وكأنّه يلوح إلى حرصه الشديد وتفانيه في عمله ؛ مبدياً اخلاصه وحبّه لعمله حتى يرسم في مخيلة الأمير الصورة والانطباع الجيد عن مدى ما يتمتع به من صفات وعمل دؤوب من أجل الأمير وأملاكه ، وتتجلى في الأبيات دعوة من الشاعر لقضاء ما كان واجب عليهم من صلاة ، وتأدية الحقوق والواجبات التي في اعناقهم للناس وبأسلوب يشي عن تقديره واحترامه لممدوحه.

ونلحظ دقة الشاعر في اختيار ألفاظه التي تنم عن شَّدة إعجابه بالممدوح ، وخلع الصفات الحميدة على أميره عندما ألقى عليه تحية الصباح في قوله :[٤] من الطويل

ألا عِمْ صباحاً ضَاءَ مِنْكَ جبينُهُ وراقَ به الإقبالُ واقتبل البِشْرُ

فأنتَ لنا شمسٌ إذا متعَ الضُّحى وفي اللَّيلة اللَّيلاء أنتَ لنا بدرُ

ممّا لا شك فيه أنَّ الألفاظ التي حشَّدها الشاعر وهي (الشمس ، والصباح ، والبدر) تُعطي دلالة للنور الذي أراد اضفاءه على ممدوحه ؛ ومن خلال ذلك بيَّن مكانته بين قومه من حيث الاضاءة والإشراق ، فضلاً عن عبارة (الليلة الليلاء) التي اختزلت في طياتها معنى الليلة الظلماء لتعانق ألفاظه السابقة وإن كانت بالضَّدِّ منها إلَّا إنَّها حددّت إطار الصورة التي نسج ملامحها بما للون الأسود من قابلية على الكشف ؛ فهو لا يعطي الإضاءة لما حوله وإنَّما يزيح بوجوده الحزن والكآبة ، والغضب والقلق ، وغيرها من الحالات الشعورية التي تكون مختبئة داخل النفس الإنسانية [٥]

ويبدو إنَّ حُسن خصال الممدوح (الغني بالله) والقيم الإنسانية التي تمتع بها ، وعطاياه المتواصلة للشاعر جعلته قريباً منه مُحباً له ، وممّا قاله فيه :[٦] من الطويل

نَعِمتَ كَمَا شَاءَتْ عُلاَكَ صَبَاحَا وَلقّيتَ أيَّـامَ السُرُورِ صِبَاحَا

وَأسْنَدْتْ عَنْ فَألِ العَلَامةِ "صَحَّ ذا" أَحَاديث يَرْوِيهَا الزَّمَانُ صِحَاحَا

فــدتْكَ مُـلوكٌ أنتَ عَيْنُ زَمَانِهَا وَأحْـرَى عَبِـيدٌ تَفْتدَيكَ سَمَاحَا

عند البحث في ديوان ابن زمرك نجد جل أشعاره في هذا الممدوح ؛ فالممدوح قد أحاطه بهالة لمْ يُعطها إلَّا للقليل من أتباعه وصفوته ، وهذا جعله ينطق بعبارات جزلة وبليغة تصف السخاء الذي حظي به من ممدوحه ، فألفاظه التي خصصها بـ (العُلا ، والسّرور ، وصباحا ، وسماحا) وعباراته بـ (أحاديث الزمان ، وفداء الملوك ، وفداء العبيد ، وعين الزمان) لمْ يطلقها جزافاً ولا خوفاً من ممدوحه ، ولا لأنَّه كان راجياً العطاء والتكسّب ؛ ولكن شعوراً منه بالفضل والتقدير وحُسن التعامل معه لذلك أجمع الباحثون على أنَّ المدح ظلَّ الغرض الأبرز في قصائد ابن زمرك ، وهو أمر تسهل ملاحظته عند القارئ للديوان ... وقد وصل ابن زمرك إلى منصب الوزارة بإرادة الملك النصري (الغني بالله) ...

وكان همّه الوحيد المحافظة على وظيفته ، والمكانة التي تمتع بها ، وكان يعلم علم اليقين أنَّ هذا لا يتم إلا إذا استمرت ثقة الملك به ، فأبدا حماسة شديدة لإرضاء سيده [٧] وهذا حقاً ما وجدناه في الصباحيات التي خصها لممدوحه .

ومن صباحياته ؛ عيدياته التي نظمها وهي حافلة بمدح (الغني بالله) ، وتعداد محاسن مِنْ خِلاله وآثار جلاله ومنها قوله : [٨] من الكامل

وَإذَا تَجَلَّى صُبْحُ عَزْمِكَ فِي الْوَغَى فَبِنُجْحِ رَأيِكَ عَـنْ قَرِيــبٍ يُسْفِرُ

...

أنْتَ الصَّبَاحُ أَنَرْتَ كُــلَّ دُجُنةٍ والصُّــبْحُ لاَ يَـخْفَى ولا يَتَستَّرُ

وَإذَا الصَّبَاح تَــــبلَّجتْ أنْوارُهُ بِــالله مــا عُذْرُ أمرِئ لا يبُصرُ؟

يغلب الزمن في أبياته المدحية ؛ والزمن يعرفه علماء النفس ظاهرة سيكولوجية وفيزيائية ؛ له وجود مادي وموضوعي يقاس بمقاييس الزمن المعروفة ، وله وجود نفسي وسيكولوجي وذاتي يختلف بإزائه الأفراد والأمم والشعوب [٩] وقد جاء تأكيد الشاعر على الزمان (الصباح) بتكراره أربع مرات ، ومما يزيد ذلك الجمال الذي وصفه الشاعر حسن التشبيه الذي جاء به ذاكراً تعجبه منه ؛ فذلك الصَّبَاح الذي رآه ليس هو الصَّبَاح الزمني المتعارف عليه ؛ بل هو الزمان النفسي الذي عكس جمال الممدوح وحسنه ، لذلك كان الشاعر يديم النظر إلى الجمال الذي لاحظته عيناه ، وكأنه أعلن حالة الدهشة والاعجاب لا بل والاستغراب عندما وصف ذلك الجمال مقرباً إياه إلى نور الصباح ؛ فذلك البياض يبدو للعيان ولا يستطيع أحد أنْ لا يبصره ، أو ينكر نوره .

لقد شهد نص العيديات لدى ابن زمرك تشكيلات صورية كان للصباح حضورٌ متميزٌ فيها ، ومن ذلك قوله :[١٠] من البسيط

...

سُلَّ السعودَ وخَلَّ البِيضَ مُغْمَدَةً فَالسَّيفُ مَهْمَا مَضَى فَالسَّعدُ أمضاهُ

واشرعْ من البرقِ نصلاً راع مُصْلتُهُ وارفعْ مِن الصَّبَحِ بَنْداً رَاقَ مَـجْلاهُ

فَالعُدْوَتَانِ وَمَــا قَدْ ضَمَّ مُلكُهُمَا أنْصَارُ مُلكِكَ صَـــانَ اللهُ عَلَـياهُ

لاَ أوحشَ اللهُ قـــطراً أنْتَ مالِكُهُ وَأنَّـــسَ اللهُ بِالأَلْطَافِ مَـغْنَاهُ

من ضمن الألفاظ التي استعملها ابن زمرك لمديح (الغني بالله) لفظة الصبح إذ قال (وارفع من الصبح) في اثناء حديثه عن شجاعته وبطولاته التي بدت واضحة في المعارك التي خاضها ، والتي تجلت من خلال السيف والنصل ؛ فسيوفه مشرعة للقتال وعلمه أكثر نوراً وإشرقاً من السيف المصقول ، وتشهد على بطولاته تلك الكواكب التي منها سعد السعود وما فيها من دلالة على اليمن والبركات ، مشيراً إلى حكمه الذي شمل العدوتين التي فيهما انصارٌ واعوانٌ، داعياً أنَّ لا تخلو ناحية من نواحي البلاد التي يحكمها من لطف الله وعصمته وتوفيقه ، وأنْ تزال وحشتها ، ولا يصبح قفراً خالياً من الناس ، وما دعاؤه إلا دليلاً عن العدل والمحبة التي يتصف بهما .

وعندما أراد الشاعر إثارة الاستغراب ولفت الانتباه إلى جمال الممدوح ؛ استعان بالاستفهام المجازي مبدياً تجاهله العارف بحرف الاستفهام الهمزة قائلاً فيه :[١١] من الطويل

أَوَجْهُكَ أمْ وَجْهُ الصَّبَاحِ تَهَلَّلاَ تَجَلَّى عَلَـــى حَادِي الــرِكَابِ فَهَلَّلا ؟

أرَاهُ مُحَيّا الشَّمْسِ قَبْلَ طُلُوعِهَا وَأبْـــصَر بـَـدْراً لاَ يَزالُ مُكـــمَّلا

أفَاضَ عَلَى الآفاقِ نُوراً ورَحْمَةً وأوْضَحَ مَا لمْ تُوضِحِ الشَمْسُ في العُلَى

وَألْقَى عَـــلَى وَجْهِ النَهارِ طَلاَقَةً بأشْرَقَ مِـــنْ شَمْسِ النَهَارِ وَأجْـــمَلا

لقد جاءت الأنوار محملة بالإشراق والوضوح من خلال لفظتي (الشمس ، والبدر) مبدية مبالغاته التي وظفها ليعكس صورة ما يرآه من الممدوح إذْ يأتي" الأداء اللوني بالأبيض ليشكل دلالة بارزة في صور المديح ، لما يتميز به البياض من جمال وما يضفيه على الممدوح من معاني الإشراق "[١٢] فهو وإنْ نظم شعراً لا يعي وصف الجمال الذي بدا واضحاً له .

وقد وظف لفظتي (الصبح ، والصباح) في معنى آخر عندما خاطب السلطان يوسف الثاني* مهنئاً إياه بانتصاراته ومشيراً إلى الخيول التي شاركت في المعركة ومما جاء فيه قوله [١٣] : من الكامل

...

مِنْ أشْهَبٍ كَالصُّبْحِ يَعْلُو سَرْجَهُ صُبْحٌ بِهِ نَجْمُ الضَّلالةِ يَأفلُ
أَوْ أدْهَـــمٍ كَاللَّيلِ قُلِّدَ شُهبَهَ خَاضَ الصَّبَاحَ فأثْبَتَتْهُ الأرجُلُ
أَوْ أشْقَرٍ سَـــالَ النُضَارُ بِعَطْفِهِ وَكَسَاهُ صِبْغَةَ بَهْجَةٍ لاَ تَنْصَلُ

عندما رسم الشاعر صورة لبطولة من بطولات الممدوح فأنه أشار إلى ذكر الصباح موظفاً اللون وهو شَّدة بياض الصباح ؛ وما يدل عليه من الانبلاج والصفاء والنقاء(١٤) وهذه الشدة في اللون أعطاها الشاعر أبعادها ووظَّفها توظيفاً موفَّقاً عندما ذكر خيول الممدوح التي شاركت في المعركة فقد كانت ساحات المجتمع الغرناطي مليئة بالحروب التي شاعت في آخر عصر من عصور الأندلس ؛ فشَّدة بياض الخيول العربية المشاركة في المعارك تأتي معها شَّدة سوادها ، وكأنَّ الشاعر يشير إلى أنَّ المعركة كان فيها يسر وعسر ، وأمل ويأس ، ونصر وهزيمة ، فهي بين البياض والسواد نسجت لوحة لما حدث في المعركة، فالخيول البيض كانت مشاركة في الحرب تكُّر وتفُّر إلى ظهور الصباح ، وأفول النجم الذي يهتدي به دلالة على أنَّ هذه الخيول قد شاركت منذ سواد الليل ؛ لأنَّ النجم لا يظهر إلا في الليل ، وانبلاج الصبح الذي أدَّى إلى غيابها ، ويستمر الشاعر في أبياته مهنئاً السلطان يوسف الثاني ذاكراً انتصاراته قائلاً فيها (١٥) : من الكامل

طَلَـعَ الْهِلالُ وَأُفْقُهُ مُتَهلّلُ فَمُـكبِّرٌ لِطُلُـوعهِ ومُهَلِّلُ
أوْفَى عَلَى وَجْهِ الصَّبَاحِ بِغُرّة فَغَدَا الصَّبَاحُ بِنُورِهَا يَتَـجَمَّلُ
شَمْسُ الْخِلاَفَةِ قَدْ أَمَدَّتْ نُورَهُ وَبِسَعْدِهَا يَرْجُو التَّمَامَ ويَكْمُلُ
للهِ مِنْـهُ هِلاَلُ سَـــعْدٍ طَالِعٌ لِضَيائِهِ تَعْشُو الْبُدُوُر الكُمَّلُ
وَألحْتَ يَا شَمْس الْهِدَايَةِ كَوْكَباً يُعْشِى سَنَاهُ كُلَّ مَـنْ يَتأمّلُ

يبالغ الشاعر في أوصافه للممدوح جاعلاً من تلك الغرة والمحيا يأخذ منها الصباح ويتجمل ، ملوّحاً إلى الصباح ووجه الممدوح في الإشراق الذي يجمعهما ، فضلاً عن العطاء والغيث الذي يتصف بهما ؛ فمبالغاته واحدة من أساليبه في التقرب من ممدوحه، علماً أنَّه يتميّز بشعرية راقية ومنزلة كبيرة ؛ فقد تقلد مناصب وأماكن في عصر بني الأحمر إلى أنْ أصبح وزيراً إلَّا أنَّ حالة الطمع والجشع وحبّ السلطة كانت الدافع

وراء التّملق الذي اتصف به ، فقد كان ينوي الوصول للسلطة تحت أي ظرف ، ولأي سبب كان ، وهذا دعاه إلى الخوض في أفعال كثيرة ومنها تآمره على أستاذه والوشاية التي كان يحيكها عند بني الأحمر فقد " صار مضرباً للمثل في عدم الوفاء بعد تآمره على أستاذه لسان الدين بن الخطيب " [١٦] خوفاً أنْ يصل لسان الدين إلى المنزلة التي كان يسعى إليها ابن زمرك ، ومع هذا فقد وصل ابن زمرك إلى مراكز عليا بعدما نُفِيَ أستاذه ، إلا أنَّ المصير الذي لاقاه ابن الخطيب هو المصير نفسه الذي لاقاه تلميذه ابن زمرك مع اختلاف الاسباب والمقاصد ، ولم يكتفِ بذلك بل راح يذكر كيف أنَّ الخلافة (شمسها) ترجوه وتطلب التمام والكمال منه ، ثم (الهلال) راجياً الضياء في سماء حالكة السواد ، والناظر لهذه الأبيات يجد النور والاشراق في الألفاظ التي شاعت في أبياته وهي (الصباح ، والشمس ، والضياء ، والهلال ، وكوكب ، وسناه) مشيراً إلى ذلك الصباح الذي يشع بوجود الممدوح فمقارنته بين وجه الممدوح وذلك اليوم الذي بدا واضحاً جلياً للناظر من خلال الضياء والإشعاع هو عينه ما أدته تلك الكواكب مجتمعة في لفظتي (الهلال ، والشمس) فأنارت الحياة ، وقلب الشاعر ؛ فنشرت التفاؤل والإقبال على الحياة ، وسطع الألق والبهجة من الممدوح ، وقد تضامنت عوامل أضاءت النص قدمها الشاعر وكان مدركاً بما ينشره من أمل وتحّدٍ وحياة فوظف إلى جانب تلك الألوان التي اتخذها الشعراء وسيلة للتزيين في مجالات عدّة ... ومنها التعبير عن التفاعل بالعالم الخارجي تفاعلاً يبهج النفس ويُعبر عمّا يجيش فيها من مشاعر الفرح أو اللذة أوْ مشاعر البؤس والحزن ... والألوان عند الشاعر علامات لفظية لا تفتأ تذكر قارئ القصيدة ، أو من يستمع إليها بوجود بصري خارجي[١٧] وهي تشع ضياءً ونوراً قد بدا في سماء الممدوح فشعت على الأرض قاطبة ، إنَّ المتأمل في تلك الصورة يجد ذلك الجمال والأنس الذي كبر وهلل عند مشاهدته لها ، ويكرس الشاعر في لفظة الصباح ما يشير إلى تهنئة الخلف (الممدوح) في قوله : [١٨] من الطويل

...

بِوَجْهٍ يُرِينَا الْبَدْرَ عِـنْدَ طُلُوعِهِ وفِي وَجْنَةِ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ التَّكَلُّفُ

وَعَزْمٍ كَمَا انْشَقَّ الصَّبَاحُ مُصَمِّمٍ وَرَأْيٍ بِـهِ بِيضُ الصَّوَارِمِ تُرْهَفُ
وحَوْلَكَ مَـنْ حِفْظِ الإلاَهِ كَتَائِبٌ وفـوقَكَ مِنْ ظلِّ السَّعادَةِ رَفْرَفُ
وَوَ اللهِ مَا نَدْري وَلِلْعِلْمِ عِنْدَنَا بَرَاهِينُ عَنْ وَجْهِ الحقائقِ تَكْشِفُ

في بعض الأحايين يستعمل الشاعر(الصباح) في أبياته عندما يصف جمال ممدوحه ، فضلاً عن اتصافه بالشجاعة من خلال استعداده للمعركة ، وعقد عزيمته على فعل الأمور بصورة ملحة مشيراً إلى ظهور الصباح ، وتعاقبه مع الليل أمر محتوم لا بد منه ؛ فإرادة الله ومشيئته اقتضتا ذلك ، وعندما ذكر الحرب ذكر أحد مستلزمات شجاعته فأشار إلى حدة سيفه الذي يواجه به العدو " فالبيض بالجمع السيوف ، وقد أكثر الشعراء من وصف سيوفهم بالبياض حتى أنهم كنوا بهذا اللفظ عنها من غير أنْ يذكروها ذكراً صريحاً "[١٩] فضلاً عن ذلك وظف لفظتي (حولك ، وفوقك) وهما من الظروف المكانية يريد الشاعر بهما الإحاطة والشمول والعلو والسمو مشيراً إلى منزلته ومكانته التي احاطت به كتائب العسكر ؛ فضلاً عن نشر السعادة والهناء التي ترفرف عليه وتحيط به من كل جانب .

ويخلق الشاعر من أجواء التهنئة التي أرسلها للغني بالله بمناسبة ختان حفيديه السعادة والفرح فيما أشار إليه قائلاً :[٢٠] من الطويل

بِأبْلَجَ غَارَ الصُّبحُ مِنْهُ بِطَلْعةٍ لَهَا الْبَدْرُ تاجٌ والنجومُ قَبائلُ

يتبادر إلى الذهن ذلك الجمال الذي شاع في الأبيات ، وممّا جاء فيها قوله مبالغاً في الجمال الذي يرسمه في بيته فظهور محياه قد غار منه الصباح ، ولنلحظ كيف كان الشاعر دقيقاً في ذلك ، فالبدر والنجوم كلما كانت الليلة مظلمة كلما كان البدر والنجوم أشد وضوحاً فكلما استعمل الشاعر الضّدية برز الآخر ، وهناك أبيات مختلفة ومن قصائد متنوعة لدى الشاعر تشير إلى تصويره لجمال الممدوح ، أو المكان[٢١] موظفاً الفكرة التي يتبناها عندما يضيف لفظة الصباح إلى الممدوح .

ولقد تأثر الشاعر كثيراً بما تنشره لفظة (الصبح المبين) من معاني أراد بيانها في أبياته قائلاً فيها :[٢٢] من الطويل

...

إلَى أنْ بَدَا الصُّبْحُ الْمُبِينُ كأنَّهُ مُحَيَّا ابْنِ نَصْرٍ لَـمْ يُشَنْ بِغُرُوبِ
شَمَائِلُهُ مَهْمَا أُدِيرَتْ كُؤُوسُهَا قَلَائِدُ أسْـمَاعٍ وَأُنْـسِ قُلُوبِ

وفي هذا الموضع يظهر جمال الممدوح كالصبح المبين الذي لم يخفه غروب وقد أشار الشاعر في اختياره هذا إلى " قوة نصوع ضوء النهار وعتمة الليل وظلمته تتدرج قوة الإضاءة في لحظات الغروب "[٢٣] فلا تخفى سجاياه ، وتُوصَف كأنَّها قلائد ؛ فيها فرح ومسرة تذهب وحشة القلوب ؛ فصفاته تتزين بها الاعناق وتثير الفرح والأنس في النفوس .

ويوضح الشاعر مدى الإشراق والنور الذي تجده الخلائق عند الممدوح ، فيما قاله مهنئاً بشفاء الغني بالله :[٢٤] من الطويل

وَطَافَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ مُحَـمَّدٌ بِحَضْرَتِهِ الْعُلْيَا مُـبَلِّغَ قَصْـدِهِ

...

وَأَبْصَرَتِ الأَبْصَارُ شَمْسَ هِـدَايَةٍ وَأَشْرقَتِ الأَرْجَاءُ مِـنْ زُهْرِ وَفْـدِهِ
وَلَوَّحتِ الأَعْلاَمُ فِيـــهَا بِنَصْرِهِ كَمَا لَوَّحَ الصُّبْحُ الْمُبِـينُ بِبَـنْدِهِ
سَتُهْدِي لَـهُ الأَيَّامُ كُـلَّ مَسَرَّةٍ وَيُحْيِي بِـهَا الرَّحْمَانُ آثَارَ جَدِّهِ

فظهور الرايات الملوحة بالنصر الذي حققه وقد بدا كأنّه الصباح المبين قَدْ بَأْنَّ بظهور الغني بالله بعد شفائه ، وتلك المنزلة التي كان فيها داعياً له بالمسرة والفرح يأتيانه من كل جهة ، ويعيد الآثار التي تركها اجداده ، فكل ما يتصف به لم يكن وليد اللحظة لا بل هو إرث آبائه الذين اتصفوا بالصفات الحميدة وعراقة النسب فللممدوح أصالة ومجد تليد يمتد جذوره إلى الآباء والأجداد .

حتى أنَّ الكواكب لتغار من ذلك العلو الذي حازه الممدوح ؛ فتمنت أنْ تبلغ شأوه ومكانته العالية وهذا ما أفصح عنه قوله :[٢٥] من الطويل

...

تَرُومُ جَوَارِي الشُّهْبِ شَأوَكَ في العُلَى وَمِـــنْ دُونِهِ لِلنَّيِّرَاتِ مَرَاحِلُ
وَفِي الصُّبْحِ مِـنْ ذَاكَ الجبين أشعةٌ وَفِي الشَّمْسِ مِنْ ذَاكَ الْمُحَيَّا دَلاَئِلُ
وَفِي الصُّبْحِ مِنْ رَيَّاكَ عَرْفٌ ونَفْحَةٌ وَفِـي الْغَيْثِ مِنْ يُمْنَاكَ جُودٌ وَنَائِلُ

لقد طلبت الكواكب على الرغم من علوها ذلك الشأن الذي بدا الممدوح فيه ؛ فهو مثل الصباح الذي يظهر في إشارة منه إلى ذلك الجبين الذي يشع نوراً عندما يخرج ؛ والشمس التي تبدو منها دلائل ترشد الآخرين ، والصبح الذي تفوح منه الروائح الطيبة التي ترتاح لها النفس ، والرياض الخضراء التي بدت حركتها ، فضلاً عن الغيث ؛ وقد خص الغيث للدلالة على الخير ،و ربطه الخير باليد اليمنى المعروفة بالعطاء والسخاء ؛ إنما أراد القول إن ممدوحه على الرغم من جماله فهو سخي كريم كثير النوال .

ويأتي موضع آخر يستغله الشاعر في التعبير عن مشاعره للسلطان أبي العباس المريني* ، وقد قال شعراً رُسِمَ على ثوب قد أهداه له قال فيه : [٢٦] من مجزوء الكامل

أُهْـدِي أَبَا الْعَبَّاسِ مَلْكَ النَّدَى وَالبَـاسِ
ثَوْبَ السَّـمَاءِ لأَنَّهُ بَـــدْرٌ بَدَا لِلنّاسِ
فَلَقُ الصَّبَاحِ بِوَجْهِهِ عَـــوَّذْتُه بِـالنَّاسِ
يَكْسُو إمَاماً لَمْ يَزَلْ بِحُلَى الْمَحَامِدِ كَاسِي
فَيَا لَـــهُ مِنْ مُرْتَدٍ ثَوْبَ التُّـــقَى لَبَّاسِ

من الوهلة الأولى يتضح للمتلقي ، مدح هذه الشخصية لذكر كرمه والعطاء والشجاعة التي عُرِفَ بها ، فضلاً عن جمال وجهه الذي يُرَى وكأنَّه فلقة الصباح " ولاشك في أنَّ اللون يرتبط بالحالة النفسية ارتباطاً وثيقاً سواء من حيث التعبير عن أدق عمليات النفس ، أم من حيث إحداث الأثر النفسي المنشود عند المتلقي "[٢٧] ولِمَا لهذه الصفات الحسنة التي يمتلكها وجماله ، الأخَّاذ يذكر تعوذه به وذكر أسماء الله عليه خوفاً عليه من العين موظفاً سورة الناس في ذلك ، ومنها قوله تعالى " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ النَّاسِ ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ "[٢٨] وكأنَّه يطرد عين الحسود بعد هذا الثوب رقية ترقيه من عين الحسود وقد كانت في عصر بني الأحمر تُنقَشُ الأشعار ـ ومن ضمنها أشعاره ـ على الثياب والقصور[٢٩] .

ويسهم الصباح في تكثيف دلالات النص في قوله :[٣٠] من الكامل

...

اللهُ أعـطَاكَ الَّتِي لاَ فَوْقَهَا وَحَبَاكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي لاَ يُجْهَلُ
وَجْهٌ كَـمَا حَسَرَ الصَّبَاحُ نِقَابَهُ لِضِيَائِهِ تَعْشُو الْـبُدُورُ الكُمَّلُ
تَلْقَاه فِي يَوْمِ السَّمَاحَةِ وَالـوَغَى وَالْبِشْرُ فِـي وَجَـنَاتِهِ يَتَهَلَّلُ
كَفٌّ أبَتْ ألاَّ تَكُفَّ عَـنِ النّدَى أبداً فإنْ ضَـنَّ الْحَيَا تَسْـتَرْسِلُ

فـ (حَسَرَ الصباحُ نِقابَهُ) كناية جميلة وظفها عن ظهور الممدوح ، وكأن الليل بشدة سواده نقابٌ رُفِعَ عن وجه فتاة جميلة تخجل منه البدور ساعة تمامها وكمالها ، وإذ لم تكن الصفات والسجايا التي تحلّى بها الممدوح بسيطة وإنَّما هي صفات أعطاه الله إياها ، دلالة على الفطرة التي جُبِلَ عليها ممدوحه ، ثم اتصافه بالبشاشة والفرح ساعات الكرم والحرب ، فالجود والعطاء صفتان متلازمتان تُعْلي من شأن الممدوح وتجعله مقدما على الزمان الذي يبخل على الآخرين ، وتبلغ درجة التشبيه بالممدوح بأنْ جعل عطاءه قياساً بعطاء المطر قليلاً ؛ فهو يفوق بعطائه السماء عندما تهمر بالمطر ، فهذه العطايا التي وسمها لله قد فاقت علواً وارتفاعاً من منزلته ، وهنا وظّف لفظتي (الكف ، والوجه) ليعكس مدى ما يتصف به من جمال وكرم وسخاء .

وقد يكون اختيار الشاعر للفظة الصباح موفقاً في التشبيهات التي جاء بها قائلاً :[٣١]

من الخفيف وَكَأنّ النُّجُومَ فِـي غَسَقِ اللي ـلِ جُمَانٌ يَلُوحُ فِي آبَنُوسِ
وَكَأنَّ الصَّبَاحَ فِـي الأُفْقِ يُجْلَى بِحُلِيّ النُّجُومِ مِـثْلُ العَرُوسِ
وَكَأنّ الرِّيَاضَ تُـــهْدِي ثَناءً لِلْغَنِي بِـــاللهِ فَوْقَ الطُّرُوسِ

موظفاً أداة التشبيه (كأن) والمشبه (النجوم ، والصباح ، والرياض) وقد كانت لفظة الصباح أحدى هذه المشبهات ، بما فيها من روعة وإشراق وضياء ، جاءت ترسل مديحاً وثناءً للممدوح (الغني بالله) إذ شملته كتب وصحف عديدة تضمنت مدحه ، وفي جميع ما تقدم من تشبيهات يعرض الشاعر ما تتزين به المرأة ، إذاً المدائح التي جاء بها أدى اللون فيها دوراً بارزاً في إبراز ملامح الصورة التي رسمها للممدوح ؛ وهو يهديه قصائد المديح والثناء .

زرع الشاعر في ممدوحه ما بين لفظتي (خِلالُها ، وخلالَها) صفات حسنة وأخلاقاً كريمة وسجايا لا يمتلكها إلَّا سواه ، وممّا قاله فيه :[٣٢] من الكامل

لَكَ غُرَّةٌ وَدَّ الصَّبَاحُ جَـمَالَهَا وَمَحَاسِنٌ تَهْوَى الْبُدُوُرُ كَمَالَهَا

وَشَمَائِلٌ تَحْكِي الرِّيَاضُ خِلاَلُها وَأنامِلٌ تُزْجِـــي الأَنَامُ خِلاَلَهَا

لِلْمُسْتَعِين خِـلاَفة نَـصْرِيّةٌ عَرَفَتْ مُــلُوكُ الْعَالَمِينَ جَلاَلَهَا

وَأنَا الَّذِي قَــدْ نَالَ مِنْكَ مَعَالِياً تُــهْدِي النُّجُومُ الزَّاهِرَاتُ مَنَالَهَا

تأتي لفظة الصباح لتبعث ذلك النور الذي بثَّ روح الحياة وأزال التصحر عن الممدوح؛ بعد أنْ نعته الشاعر بتلك الصفات التي جمعت بين العلو والجمال ، وهذه الصفات هي ما أكدها الشعراء في ممدوحيهم ، وهي من المعاني القديمة المستهلكة التي وظّفها مَنْ سبقوه من الشعراء ، وقد جاء الشاعر وحصد ما تطرقوا له من معاني ، وراح يردد الألفاظ نفسها التي يمدح بها شعراء السلطة ؛ لذلك فقد ترجم ما كان يبتغيه لذاته، وما كان يصبو إليه من الممدوح ، فهو وإنْ صّرح بخلافته إلَّا أنَّ تلك النفس الطموحة التي يمتلكها ابن زمرك ، وما تتسم به من التعالي والشموخ ، لا نشعر بوجود فارق بين ما ينظمه لممدوحه ولذاته ؛ فالشاعر غالباً ما يبوح بما يؤمن به فيفسر ذلك شعراً ينظمه ، ينمُّ عن تلك الخصال الحميدة التي تمتع بها المستعين النصري* ، وفي حقيقة الأمر أنَّ الرفعة التي أشارت إليها الذات مقترنة بالنجوم إنّما تدلُّ على ما توحي به ذاته ، وتوقها إلى المكانة العالية ، وامتزاج الزمان (الصباح) مع (البدور، والنجوم) تشي بتلك المطالب التي حلقت في سماء صافية مشرقة مضيئة ، ولنسلط الانتباه إلى ما كان يوظّفه الشاعر في مدائحه ؛ فهو لمْ يسعَ إلى طلب العطاء والجود ؛ فلم تكن مدائحه تكسُّبية ترجو العطاء المادي ؛ وإنّما مدائحه كانت حاملة لتلك النبرة الاستعلائية الطالبة للسلطة والمبتغية للمساواة ، وكأنَّه في نظمه يُحاكي مَنْ يساويه في العلو والمنزلة .

ولوّح الشاعر إلى معنٍ آخر عند مديحه لخاتم الأنبياء في قوله : [٣٣] من الطويل

...

وَسَيّدُ هَذَا الْخَلْقِ مِنْ نَسْلِ آدَمٍ وَأَكْرَمُ مَبْعُوثٍ إِلَى الإِنْس وَالْجَانِ

وَكَمْ آيَةٍ أطْلَعتَ فِي أفُقُ الْهُدَى يَبِينُ صَبَاحُ الرُّشْدِ مِنْهَا لِيَقْظَانِ

وَمَا الْشَّمْسُ يُجْلِيهَا النَّهَارُ لِمُبصرٍ بأجْلَى ظُهُوراً أوْ بِأوْضَح بُرْهَانِ

وَأكْـــرِمْ بآيــاتٍ تُحدَّثَنا بِهَا وَلاَ مِثْلُ آياتٍ بِمُحْكَــمِ فُرقانِ

وظف الشاعر لفظة الصباح معبرة عن ذلك الإشراق والهداية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، عندما قدم لمديحه بالإشادة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذ إنَّه كرمه بالبعثة إلى الجن والأنس ، فهو الشمس التي لا يخفيها شيء ؛ فالشمس والصباح احدهما نتيجة للآخر ؛ فعندما تظهر الشمس يبدو الصباح ؛ والصباح إذ ما بدا دلالة على وجود الشمس إلا أنَّ استعمال الشاعر وتأكيده جاء لزيادة تكثيف الكلمات والمفردات التي تعني الهداية ووضوح الطريق ودليل رشد الإنسان ، ثم يعرج على ذكر المعجزات التي خص بها الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم ، إذن المعجزات والهداية والنور ووضوح الطريق هو ما أراد الشاعر بيانه من توظيفه لهذه المفردة (الصباح) وكيف أنَّ وجود هذه اللحظة قد إستدعى ما استدعاه من مفردات أخرى زادت من إيضاح ما يريد .

* * *

وفي هذا المحور سيكون توظيف الشاعر للفظة الصباح مع المكان ليرسم من خلالها الانسجام والمصاحبة ويخلق الرؤية الذاتية والمعنى المعبر عن التشكيل الشعري الذي دعا الشاعر إلى هذه المزواجة والتعبير عما اكنته ابياته ، وإذ تأتي لفظة الصباح لتعكس جمال المكان المتمثل بالرياض التي رسمها في موشحته قائلاً فيها :[٣٤] من مخلع البسيط

قَـــدْ طَلَعَتْ رايةُ الصَّباحِ وآذنَ اللـــيلُ بالرَّحــيلْ

فبــاكرِ الـروضَ باصْطباحِ واشربْ علـــى زهرِهِ البَليلْ

فالوُرْقُ هَبَّتْ من السِّناتِ لـــمنْبَرِ الدَّوْحِ تخطُبْ

تَســْـجَعُ مُفْتَنَّةَ اللُّغاتِ كُــلٌّ عن الشوقِ مُعْربْ

وَالغُصْنُ بَعْدَ الذَّهابِ يَاتِي لأكْــؤسِ الطلِّ يشرَبْ

لوحة جميلة يرسمها الشاعر لرياض الأندلس بخضرتها الزاهية بما تبعثه من جمال للرائي أطَّره شروق الشمس وظهور الصباح ، وغياب الليل ، وكأنَّه إنسان كلما بدا في تلك

الرياض برز نوره وشَّع للجميع فما بين لفظتي (الطلوع ، والغياب) إشارة إلى جمال المكان وجمال مَنْ يرتاده ، فهو حينما حلَّ ؛ حلَّ معه الجمال والإشراق وغابت مآسي المكان الذي نسج له الضياء والنور تاركاً الأثر النفسي في الآخرين بما تحمله الألوان من دلالات نفسية ، فورودها في الفن القولي لا يقف عند حدِّ تخطيط الصورة أوْ إبرازها بالشكل الذي يحقق لها اللون ، وإنّما كان الدافع لذلك جعل هذه الصورة محفوظة بإطار من الأبعاد المتحركة بذاتها ، تضفي عليها الألوان ميَّزة ربمَّا كانت تفتقر إليها قبل الإضافة [٣٥] ، فشعرت الذات بالسعادة والبهجة التي جعلته يرى ذلك المنظر الذي رسمه ، ومما لا ريب فيه أنَّ الأندلس عُرِفَتْ بطبيعتها الخلابة ومناظرها الساحرة التي تبهر العيون وتسلب العقول[٣٦] ممّا حدا بالشاعر إلى نظم هذه الموشحة التي ذكر فيها موطناً من مواطن الجمال الذي كان يشاهده ، وقد تُقرأ أبيات الموشحة قراءة ثانية تذهب إلى أنَّ قصدية الشاعر من طلوع الصباح ورحيل الليل تلويح لفتاة جميلة حسناء قد رآها فتمثلت له هذه الأبيات ؛ لأنَّ غالباً ما يصف الشعراء الفتاة الجميلة وتحديداً وقتمَّا تظهر بالصباح بكل ما تحمله اللفظة من نور وإشراق إذْ " يعد البياض آية من آيات الحسن إذا ما اتصفت به المرأة " [٣٧] وما تخلفه من أجواء الهناء ، فيشيع في المكان الندى وينتشر على أوراقه وورودة ؛ ويكون اللون قد أنار وأبهج المكان ، وأظهر جمال المرأة التي ذكرها في موشحته .

وحينما يصف الشاعر قصر المشور الأسنى* يأتي بلفظة الصباح تعبيراً عن جمالية المكان وممّا قاله فيه : [٣٨] من الكامل

...

رَقَّتْ سَــجَايَاهُ وَرَاقَتْ مُجْتَلَى كَالنَّهْر وَسْط الرَّوْضَةِ الغَنّاءِ

كَــالزَّهرِ فِي إيرَاقِهِ وَالْبَدْرِ فِي إشْرَاقِهِ وَالزُّهْرِ فــي اللَّألاَءِ

يَـا ابْنَ الأُلَى إجْمَالُهُم وَجَمَالُهُم فَلَقُ الصَّبَاح وَوَاكِفُ الأَنْوَاءِ

أَنْصَارُ دِيــنِ اللهِ حِزْبُ رَسُولِهِ وَالسَّابقُون بِحَــلْبَةِ الْعَلْيَاءِ

إن المتتبع لأوصاف الشعراء وحديثهم عن القصور والمباني التي كانت منتشرة في الأندلس؛ تتغنى بكل موجودات القصور وما فيها من صور ومباهج تثير النظر ، وما استعماله للفظة (فلق الصباح) إلَّا إشارة إلى الغني بالله ونسبه المشرق الذي لا يستطيع أحد نكرانه ؛ فهم السابقون والانصار لدين الله ، لقد شبه سجايا الممدوح بنهر عذب ماؤه يجري وسط أرض خضراء كثيرة الشجر ، وهو لكثرته ملتف بعضه على بعض فممدوحه مثل النبات الكثيف في ظله وجماله ، وسرعان ما قدم الشاعر وهو يصف قصر المشور نظرته في بيان ملامح الصورة التي تخيلها وهو يصف جماله ، فيتميز بذلك نصه في تشكيل الواقع مع الخيال قائلاً في ذلك :[٣٩] من الكامل ...

بِتْنَا خَيَـالَيْنِ الْتَحَفْنا بِالضَّنَى وَالسُّقْمِ مَا نَخْشَى مِنَ الرُّقَبَاءِ

حَتَّى أَفَاقَ الصُّبْحُ مِـنْ غَمَراتِهِ وَتَجاذبَتْ أَيْدِي النَّسِيم رِدَائِي

يَا سَائِلِي عَنْ سِرِّ مَـنْ أَحْبَبْتُهُ السَّرُّ عِـــنْدِي مَيِّتُ الأحْيَاءِ

وهي صورة من صور الخيال التي أشار إليها في معرض حديثه عن وصف ظهور الصباح الذي أيقظه ؛ من أحلام ليلة هانئة قضاها مع مَنْ يحب ، ويبدو أنَّ طيفها قد أعطاه ذلك الإحساس فالصباح ببزوغه قد أعاده إلى طبيعته إلا أنّه لم يظهر سرّها ، ولَمْ يُفصح عنها ؛ جاعلاً أسرارها وكأنَّها سر حيٌّ لدى ميت ، لقد استطاع الشاعر من إعلاء المشهد الذي أراد بيانه من مزج الوصف والغزل حتى يخلق أجواء جميلة عن القصر مفعمة بالحيوية والنشاط .

* * *

وهنا يقرن الشاعر الفاظ الزمان مع لفظة الصباح تحديداً ــ فالصباح كما هو معلوم هو احد الفاظ الزمان ــ وفي الصبوحيات وهي مدحية تقال في الصباح أيضاً كان الشاعر يرمز إلى استعماله لها في مقطوعاته ، وقصائده ما ينم عن إلقاء التحية ، ووصف للخمرة ، وتقدير لممدوح ، وبعضها الآخر يتغنى بجمال المرأة التي يصفها ، وإذ يفتتح الشاعر موشحته بالإشارة إلى الخمرة التي يمكن من خلالها تحديد الزمن في قوله :[٤٠] من مخلع البسيط

رَيْـــحانَةُ الفَجْرِ قــد أَطَلَّتْ خضـــــراءَ بــالزُّهْرِ تَزْهِرْ
وَرَايَةُ الصُّـــبْحِ قَـدْ أَظَلَّتْ فِـــيَ مَرْقَبِ الشمْسِ تُنْشَرْ
فَالشُّهْبُ من غارةِ الصَّباحِ تُرعَدُ خــوفاً وتَخْفِقُ
وَأَدهمُ الليل فــي جِماحِ أَعِنَّةَ الــبَرقِ يُـطلقْ
والأُفْقُ فِي مُلْتَقَى الرّيَاحِ بأدمُـعِ الغيْـثِ يَشْرَقْ

وممّا يسترعي الملاحظة والانتباه هو عبارة (رايةُ الصبحِ) التي تشير إلى شروقها وانبساطها، ففي كل لفظة من هذه الألفاظ التي استُعْمِلت تعطي انطباعاً عن مدى الضياء الذي بات منتشراً في ذلك المكان ، وممّا أوحاه من صور نورانية أعطت شعوراً مسبَّقاً بالسعادة والفرح ، كما نلحظ ألفاظ الشاعر الأُخرى المعبرة والموحية بالجمال والنور والعبق الطيب والألوان الزاهية ؛ فالريحانة نبات ينشر رائحة طيبة ، ثمَّ أنَّ هذه النبتة الطيبة الرائحة خضراء وهو لون يوحي بالخصب والنماء وفيها زهر أبيض اللون ، والفجر (البياض) واللونان الأبيض والأخضر يبعثان في النفس الحياة والحيوية ، ثم لنلحظ ذلك المنظر وهو اختفاء قطع الشهب التي ترمى من النيازك ـ تطاير الرذاذ ـ خائفة وجلة من ظهور الصباح فهي لا تبدو للعيان إلَّا في الليل ، وحركتها توحي بحالة الخوف والقلق التي تنتابها ، وكأنَّها إنسانٌ شُخِّص بحالة الخوف والاخفاق ، وهذه المناظر التي رسمها الشاعر ، وصوَّرها بعين فنان محترف قد أجاد في رسمها ؛ إذ استنطق مناظر الطبيعة الأندلسية ، التي وظَّفها في إيصال الجمال الذي ترآه عيناه إلى المتلقّي .

ويطالعنا الشاعر بنسج لوحة فنية قوامها لفظة الصباح مشيراً إلى ذلك الزمان بأفراحه وأحزانه وفيما قاله الشاعر إلى أستاذه لسان الدين ابن الخطيب ؛ وفيها أشار المقري إلى هذه الأبيات بقوله : " قلتُ هذه غاية في معناها ، ولولا خروجها عن القواعد في ترتيب قافيتها ومبناها ، فأنظر إلى تحوله عن لسان الدين بعد هذه المدائح ، ونسبته إليه بعده القبائح والإنسان خوان ، إلَّا النادر من الإخوان ، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله "[٤١] لأنَّ الأبيات من الطويل إلا أنَّ التفعيلة الأخيرة تختلف عن تفعيلاته[٤٢] وهي تتجلى في قوله : من الطويل

وَحَقّكَ مَا اسْتَطعَمْتُ بَعْدَكَ غَمْضَةً مِنَ النَّومِ حَتَّى آذنَ النجمُ بالغُرُوبْ
وَعَارَضْتُ مَسْرَى الرّيحِ قُلتُ لَـعَلَّها تَنِمُّ بِرَيّا مِــنْكَ عَاطِرةِ الْهُبُوبْ
إلى أنْ بَدَا وَجْهُ الصَّــبَاحِ كأنَّهُ مُحَيَّاكَ إذْ يَجْلُــو بغُرتِهِ الخُطُوبْ
فَقُلتُ لِقلْبي اسْتَشْعِرِ الأنسَ وابتهِجْ فإنْ تَبْعدِ الأجْسَامُ لَـمْ تَبْعُدِ القُلُوبْ
وَسِرْ فِي ضَمَان اللهِ حَيْـث توجَهتْ رِكابُك لاَ تَخشَ الــحَوَادثَ أنْ تنوبْ

وجه الصباح بما يحمله من إشراقة ونور نلحظ أنَّه قسم المقطوعة على جزئين ؛ فقد جاء الوجه الذي حمل الوضاءة والإشراقة في منتصف المقطوعة أي ما قبل ظهور الصباح وما بعده ؛ فما قبله كان الليل وما فيه من غصة وعذاب ، استشهد الشاعر به مقدماً القسم (وحقك) بأنَّه لَمْ يُذقْ طعم الراحة والأمان معارضاً ؛ ومعارضته تشير إلى أمر كان لا يحبذه فوقف ضدَّه ، مُبرراً ذلك الأمر الذي يترقَّب حصوله ولا وثوق من تحققه وترقبه ، هذا ينم عن شّدة لوعته ، وأمله ؛ إذْ استغرق الانتظار ساعات الليل كلها حتى ظهور الصباح الذي يشبهه بغرة مَنْ يأمل حضوره ؛ ففي حضوره تنجلي الهموم والأمور الشديدة الخطب ، طالباً من لسان الدين ابن الخطيب البعد والخروج وذلك ما يبتغيه في إشارة منه وكأنّه (الشاعر) الصديق الحميم الودود إذ ما عرفنا أنَّ ابن زمرك كان أحد الوشاة وقد وشى بأستاذه لسان الدين .

وفي هذا النص يمكن قراءة دلالة لفظة الصباح بشكل آخر في قوله : [٤٣] من البسيط

هَذَا الصَّبَاحُ صَبَاحُ الشَّيْبِ قَدْ وَضَحَا سَرْعَانَ مَا كَانَ لَيْلاً فَاسْتَنَارَ ضُحَى
لِلدَّهرِ لَوْنَانِ مِــنْ نُورٍ وَمِنْ غَسَقٍ هَــــذَا يُعَاقِبُ هَذَا كُلَّــمَا بَرِحَا
وَتِلْكَ صِــــبْغتُهُ أَعْــدَى بِنَيهِ بِهَا إِذَا تَرَاخَى مَجَالُ الْــعُمْرِ وَانْفَسَحَا
مَا يُنْكِرُ الْمَرْءُ مِنْ نُورٍ جَــلاَ غَسَقاً مَا لَمْ يَكُنْ لأَمَــانِي النَّفسِ مُطَّرِحَا
إِذَا رأيْتَ بُــــرُوق الشَّيْبِ قَدْ بَسَمَتْ بِمَــفْرِقٍ فَمُحَيَّا الْعَيْشِ قَـدْ كَلَحَا

يتبادر إلى الأذهان أنَّ الشاعر عندما قال (هذا الصباحُ) قَدْ عنى ذلك الصباح الذي يظهر مشرقاً بنور يتلألأ ليملأ المكان ضياءً ، بِعَدِ إشارته إلى ذلك الصباح المعروف لدى الجميع الذي يأتي بعد الليل في حركة تعاقبية يحدث من خلالهما الليل والنهار؛ فالصبح

قسيم الليل فيه يرى البصير كل شيء [٤٤] لكنَّه عندما يذكر (صباحُ الشيب) جاء بما يكسر أفق المتلقي محطماً كل تلك التصورات عن الصباح الذي عناه الشاعر ليبتغي سمة واحدة من سماته ألا وهي شدة البياض الذي توخَّاه من اللفظة ، مشيراً إلى تغير الزمان ، وتقدم الإنسان بالعمر لينتقل إلى مرحلة عمرية قد تكون يائسة هي مرحلة الشيخوخة التي حولّت سواد الشعر إلى بياض ؛ وأي بياض ؛ بياض النهار وبزوغه في ساعات الضحى دلالة على شَّدة البياض الذي غزا شعره الأسود ، وهذا ما تفسره لفظة "سرعان" التي اختزلت معاني الدهشة والإعجاب التي أصابته من رؤية بياض الشعر ؛ وكأنَّ الزمان غدر به ، وضيع سنوات عمره (الشباب) ثم يأتي لائماً (الزمان) الدهر ، وكما لليل والنهار تعاقب كذلك للدهر لونان متعاقبان أيضاً من نور وظلام (غسق) وكأن هناك معاقبة في حدوث أحدهما الآخر ، فصفتا التلون والتغير من صفات الزمان يدلان على الضيق أو فسحة الفرج ؛ فكما النور يعقبه ظلام كذلك الدهر متلون متصف بصفتين متعاقبتين يميزانه ، ألا وهما النور والظلام وهنا " نجد الشاعر يتفنن في عزف منظومة الألوان في قصيدته ، منزاحاً بها عن صورتها البصرية التي تألفها العين إلى صورة رسمتها نفسيته ، وترجمتها كلماته الشعرية "[٤٥] ؛ النور يقابل الصباح والشيب ، والظلام يشير إلى الليل ، والحزن والعبوسة ، ومن جميل قوله توظيف صفة الابتسامة وهي بداية ظهور الشيب في رأسه وكأنه إيذان بزوال الحياة ، ولعل عبارته هذه تتقاطع مع قوله تعالى " ... وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ..." [٤٦] ففي قول الشاعر اشارة إلى بدايات ظهور الشيب وقلته ؛ لأن البرق والابتسامة شيء خاطف يظهر ويختفي بسرعة ، أما في قوله تعالى فإشارة إلى كثرة ظهور الشيب وغزوه للشعر الأسود .

وهناك توظيف آخر للصباح وهو يشير إلى صباح ليلة القدر في قوله :[٤٧] من الطويل

...

ولله فيه ليلةُ القدر قـد غدتْ على ألفِ شهرٍ في الثوابِ تُقَدَّمُ
تبيتُ بها حتَّى الصَّبَاح بإذنِهِ ملائكةُ السَّبعِ الطِّبـاقِ تُسلِّمُ
وبُشرى بعيدِ الفـطرِ أيْمنَ قادمٍ عليـك بمجمـوعِ البشائرِ يَقْدَمُ

فالشاعر يشير إلى ليلة القدر، وكيفية تفضيلها على ألف شهر موحياً إلى تلك الأعمال والعبادات التي يؤديها المصلي ؛ لكي يكسب الأجر والثواب من الله تعالىﷻ ، وكأنَّ الصباح فيها إيذانٌ بالانتهاء والتسليم بعدما تختم الملائكة تلك الأعمال التي يؤديها المسلم مُبشراً إياه بقدوم ليلة عيد الفطر ، وموضحة اليمن والبركات من إنهاء هذه الليلة بالصلاة وأداء الواجبات ، لم تأتِ من ليلة القدر فحسب ، وإنَّما جاءت من ذلك الصباح النوراني الذي ختمها العباد بالتسليم والعبادة لرب العالمين بما في ذلك الصباح من إشراقة وضياء ، وكأنَّه أعلن للمصلي ، عن حالة الهيام والترحيب الذي جناه من ليلة القدر ؛ فتلك الليلة مضت وجاء نهار الصباح مبشراً بما حصل عليه ، من جراء قيامه ، وقد جاء توظيف سورة القدر توظيفاً موفقاً واضحاً في إشارة منه إلى قوله تعالى " إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ "[٤٨] وهنا لابد من التمييز بين استعمالين للزمن ؛ استعمال وصفي يقتضي التوظيف المحايد للزمن، حيث تموضع الأحداث في خط زمني مركزه زمن التلفظ بشكل موضوعي ، واستعمال تأويلي يستلزم إدراج وجهة نظر ذاتية تتحكم في توجيه الدلالة الزمنية خالقة أثراً دلالياً وسياقياً محدداً [٤٩] فزمان الليلة وبما فيها من معنى يدل على الجزاء والحياة جاء مطابقاً لفظاً ومعنى لما قصده الشاعر من تضمينه القرآني والزمني وهنا نشعر بأنَّ الزمن الذي مضى زمنٌ جيدٌ قد استغل استغلالاً نافعاً من أجل العبادة فجاء بالصباح (الزمن) مبشراً بان ما فعله فيما مضى من الليلة الفائتة قد جاء بما يحسن عاقبة المؤمن ، فالماضي جيد حسن ، والحاضر الصباح فيه بهجة وفرح ، فضلاً عن عيد الفطر الذي خص به عباده الغانمين الداعين لمرضاته .

* * *

وتتسع دائرة توظيف لفظة الصباح لتشمل بقية الأغراض الشعرية ومنها غرض الرثاء لتكون المعبر عن صورة من صور الحزن والألم التي تعتصر قلبه فيروح ناعياً لتلك الصفات التي تختزلها أبياته ، وإذ يستحضر ابن زمرك لفظة الصباح راثياً صفاته (السلف) في قوله :[٥٠] من الطويل

...

وإنْ رَاعَ قَلْبَ الدِّينِ نَعْيُ إمَامِه فَـــقَدْ هُزَّ مِنْهُ بِالبِشَارَةِ مَعْطِفُ

وَقَدْ مَلَك الإسْلاَمَ خَـيْرُ خَليفَةٍ مِنَ الْبَدْرِ أبْهى أوْ مِنَ الشَّمْسِ أشْرَفُ

يُغيرُ مُحَـيَّاهُ الصَّبَاحُ إذَا بَـدَا وَتُخْـجِلُ يُمْناهُ الْغَمَـامَ فَتَخْلُفُ

فَمِنْ نُورِ مَـرْآهُ الْكَوَاكبُ تَهْتَدي وَمِـنْ فَيْضِ جَدْوَاهُ الـحَيَا يتوكَّفُ

وَلَمَّا قَضَى الْمَوْلَى الإمَامُ مُحَمَّدٌ تَـحَكَّمَ فِـي النَّاسِ الأسَى والتَّأسُّفُ

صورة شعرية يرثي بها أميراً قد حكم الإسلام ؛ فهو أبهج من البدر ، وأعلى من الشمس، وهو يتسم بصفات حميدة عدة كان الشاعر ينعاها من استعماله للألفاظ والعبارات وتراكيب الجمل قد بينت معالم المرثي ووضحته ، فإشراقة الصباح ، والسخاء والعطاء الذي يخجل منه المطر ، والنور الذي ينشره فيهتدي به الآخرون هو ما كان يتمتع به المرثي من صفات ، فالنور (الصباح) في مدائحه توضح الإشراقة التي تنير بها للآخرين ؛ وقد وظفها في الرثاء ؛ راثياً ذلك النور الذي يضيء للآخرين ؛ إذ تأسى الناس على فقدانه

ولقد شهد نص الشاعر توظيفاً للفظة الصباح في إطار تغزله ، وهو من رقيق منازعه في بعض نُزه بالقصر السلطاني من شنّيل* قائلاً :[٥١] من الكامل

نفْسِي الْفِدَاءُ لِشادِنٍ مَهْمَا خَطَرْ فَالْقَلبُ مِنْ سَهْمِ الجُفُونِ عَلَى خَطَرْ

فَضَحَ الْـغَزَالةَ والأقاحَةَ وَالْقَـنَا مَـهْمَا تثنَى أو تبسّم أوْ نَـظَرْ

عجباً للـــيلِ ذوائبٍ مـن شعرهِ والوجهُ مِنه عَـنْ صَبَاحٍ قَـدْ سفرْ

عَجَباً لِعِقدِ الثــغر مـنه منظماً والعِقد مـــن دمعي عليه قد انتثرْ

مَـــا رُمْتُ أنْ أجْنِي الأَقاحَ بِثَغْرِهِ إلاّ وَقَـــدْ سَلَّ السُّيُوفَ مِنَ الحورْ

وظف ابن زمرك (الصباح) في مقدمته الغزلية عندما يشرق ويضيء ، ويقابله السواد؛ ولنلحظ دقة توصيف الشاعر ؛ فعندما يذكر الصباح يذكر معه الليل في ثنائية ضدية قوامها (الصباح ، والليل) فقد" حظي الليل والنهار كمصدرين ثريين من مصادر صورة اللون في الشعر الأندلسي ، وكظاهرتين لونيتين تتصلان بالسماء والنجوم والكواكب بعددٍ لا حصر له من القصائد .." [٥٢] ليخلق من التَّضاد اللوني ذلك الجمال الذي يبهر النظر

فـيشكل اللون جزءاً مهماً من مقومات الصورة الشعرية[٥٣] ؛ فاللون الأبيض والأسود طالما يخلقان حالتين من التناقض إذْ أحدهما يبدي صورة الآخر، وتأتي بعد ذلك الصفات الجمالية التي ذكرها في تغزله فهي كالغزالة والأقاحة والثغر؛ مؤكداً تلك السمات التي انمازت بها ، وهي التمايل والابتسامة والتأمل والنظر ، موظفاً لذلك ما تمتلكه من جمال يبهر النظر ، إذْ اختار لفظة الأقاح وهو نبات زهره أبيض ، فضلاً عن دقة استعماله للنظرات الحادة من عينيها موظفاً كلمة (الحور) و(سل السيوف) في إشارة منه إلى شدة بياضها وسوادها واستدارة حدقتها ورقت جفونها مشبهاً إياها بأعين الظباء والبقر

وذات الشاعر في هذا النص تُصرّح وهي تصف مصباحاً بما وجدته قريباً من نفسها قائلة :[٥٤] من الطويل

لَقَدْ زَادَنِي وَجْداً وَأَغْرَى بِـيَ الْجَوَى ذُبَالٌ بِأَذْيَالِ الظَّلاَمِ قَــدِ الْــتَفَّا

تُشِـــيرُ وَرَاءَ اللَّيْلِ مِنْـهُ بَنَـانَةٌ مُخَضّبَةٌ وَاللَّيْلُ قَــدْ حَجَــبَ الْكَفَّا

...

إذَا قُلْــتُ لاَ يَـبْدُو أَشَالَ لِسَانَهُ وَإنْ قُلْتُ لاَ يَــخْبُو الضِّيَاءُ بِــهِ كَفَّا

إلَى أنْ أَفاقَ الصُّبْحُ مِـنْ غَمْرَةِ الدُّجَى وَأَهْدَى نَسِـيمُ الرَّوْضِ مِنْ طِيبِهِ عَرْفَا

كَأَنَّكَ يَــا مِصْبَاحُ أَشْبَهْتَ مُهْـجَتِي وَقَدْ شَفَّهَا مِنْ لَوْعَةِ الحُبِّ مَــا شَفَّا

يعقد الشاعر مقارنة طريفة بين المصباح الذي يضيء عتمة الليل ، وبين ذاته التي خبت وراء معاناته وأحزانه التي سرعان ما أذنت بالرحيل حينما جاء الصباح بنوره وإشراقه ، وما تلك المقارنة التي عقدها ؛ إلّا لأنّه وَجَدَ فيها التعبير المباشر والصريح لما يرآه فيه ، ويشير إلى أنَّ ساعة اشتعال المصباح تعبر عن مهجته وقلبه الذي يشتعل ناراً من لواعج الحب والضنى ؛ ويبدو التوافق واضحاً في الرؤية بين المصباح وحاله ، ومجيء الصباح الذي ينور قلبه ويجلو همه ، إنَّ أوجه التشابه التي وجدها الشاعر بينه وبين المصباح ؛ تتجلى في المصباح الذي لا يشتعل إلا في الليل وما اشتعاله إلا نتيجة احتراقه وفنائه الذي ينير عتمة الليل ، وهو يتلوى من لوعة الحب التي أضنته حتى يأتي الصباح فيزيح آهاته واحزانه كما يزيح الصباح حالة الظلمة والهم والحسرات .

وتتعانق لفظتا الليل والظلام فتضمرا من الحزن والويلات كثير فقد " كان الليل ـ ولا يزال ـ في أغلب ما وصلنا من نماذج عبر شعرنا العربي ممثلاً ورامزاً لمشاعر القلق والتوتر، آخذاً في مقابلة مع الصبح صراعاً درامياً من خلال لونيهما اللذين يستقطبان ـ أفراحاً واتراحاً ـ كل ما يحيط بالطبيعة من ألوان تعبيراً عن هذه الحالات النفسية والجمالية زماناً ومكاناً "[٥٥] ليأتي ذلك الصباح بنوره واشراقه ليمحو كل المعاناة والعذابات التي اكتنزتها تلك الألفاظ ، وما جاءت به من دلالات سرعان ما اتضحت لدى المتلقي لتوضح المقصود الذي اراده من المصباح ليجعل منه مركز العناية والقطبية التي تدور حوله المعاني والمبتغى الذي يسعى لبيانه ، والافاقة التي قصدها الشاعر توحي بالتخلص والصحوة من ذلك الظلام الدامس الذي انمحى بظهور نور المصباح وليس هذا فحسب ، وإنَّما ظهوره جاء بالريح من الأرض الخضراء الجميلة التي انتشرت في أرجاء المكان ، فالخضرة هي التي اكسبت المكان (الرياض) تلك الروائح العطرة والنسائم العليلة .

الخاتمة

لقد خلقت لفظة الصباح في مختلف أغراضه الشعرية ؛ استدعاء ألفاظ ، وعبارات فيها : ـ

ـ اختزلت اللفظة النور، والإشراق ، والبدء ، والحياة الجديدة ، وانتهاء حالة الحزن ، والألم ، وبداية الفرح ، والسعادة ، واختفاء اليأس ، وبزوغ الأمل من جديد ، وبعث الحياة ، والدلالة على النماء ، والخصوبة .

ـ لم يكن اختيار الشاعر للفظة الصباح من فراغ ، وإنما هناك دواع دعت إليها فوظفها؛ وقد كان الشاعر موفقاً إلى حد ما في إبراز ملامحها ، فنسج من وحي خياله ، ومن واقعه الانشراح والسرور والإقبال على الحياة بصورة رحبة تنشد الأمان .

ـ إنَّ الزمان الذي يبتغيه الشاعر زمانٌ مفعمٌ بالحيوية ، والانبعاث ، والديمومة استطاع من خلال الوعي أو اللاوعي أنْ يكرس الفاظ تشع بالراحة والطمأنينة والإيذان ببداية جديدة .

ـ ومما تجدر الاشارة إليه أنَّ الشاعر في مدائحه التي وظف فيها لفظة الصباح تشبيهاً أم تعبيراً عن موقف ما سواء أكان بصورة مجازية أم حقيقية ، لم نجد ذلك الفرق بين الشاعر وممدوحه ، وكأنَّ الشاعر ينظم شعراً لذاته لا لممدوحه .

ـ نجده في أغلب الأحيان يمجد ذاته ويطلب المعالي كونه يجالس شخصيات السلطة ، ولعل في اللاوعي لديه يشعر بانه يمتلك السلطة والحكم وهذا متأتٍ من طبيعة ذاته المحلقة في أجواء الحكم والسلطة التي تتطلع لها نفسه ؛ وتسعى إليها تحت أي ظرف كان؛ ففي روحه المتأملة تحمل ما تحمله من أمنيات واحلام يبتغيها .

ـ الظلام والليل هما ما اضمرا لدى الشاعر حالة الحزن ، وحالة الضيق ومعاناته هذه لا يعرفها ويجليها إلا ظهور الصبح في سواد الليل وشدة ظلمته مهدياً الريح الطيبة العليلة من تلك الرياض التي يصفها .

ـ لم نجد أيَّ اختلافٍ في الألفاظ والمعاني التي وظفها في الصباحيات ، والصبوحيات وهي من اغراضه الشعرية التي انماز بها ديوانه ؛ فهو يبدأ قصيدته بمقدمة يلقي بها التحية على الممدوح ، ويشيع فيها البهجة والفرح والسرور ، ثم يأتي بألفاظ الصباح والنور والإشراق التي واكبت ما تستدعيه من أنوار، وألوان تعطر أجواء الممدوح والمتلقي ، وتنشر الهناء ، ثم يعرج بحديثه عن الجود والسخاء الذي يميز ممدوحه ، والرحمة ، والشجاعة التي رافقته .

ـ تأتي الألفاظ لتعاضد لفظة (الصباح) ومنها (الشمس والبدر) اللذان يضيئان الليل المعتم الشديد السواد ، ليبدو تلألؤ الممدوح واضحاً جلياً .

الهوامش

* الغني بالله : هو ابو عبد الله محمد بن يوسف تقلد الحكم بعد وفاة أبيه (ابو الحجاج) تولى الملك مرتين الأولى بين سنتي (٧٥٥ ـ ٧٦٠هـ) والثانية بين سنتي (٧٦٣ ـ ٧٩٣هـ) وهو السلطان الذي قضى ابن الخطيب في خدمته زها ستة عشر عاما وشاطره المنفى بعد ولايته الأولى ، وهو الملك النصري الذي خصه الشاعر ابن زمرك في مدائحه : ينظر : الاحاطة في أخبار غرناطة : لسان الدين ابن الخطيب ، حققه ووضعه وقدم وحواشيه : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٤م : ١/ ٧ والصفحة ١٤٣ وقد وضع محقق الكتاب الصفحات التي تحتوي على ترجمة هذه الشخصية في ١/ ٦١٣ للمزيد من التفصيلات .

١) ينظر : الاحاطة في أخبار غرناطة : لسان الدين ابن الخطيب : ٢ /٣٠٠ – ٣٠١ ، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : المقري ، تح د . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م : ٤ / ٦٧٩ – ٧٥٦ ، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المقري، صندوق إحياء التراث الإسلامي ، الأمارات والمغرب ، ١٩٨٧ : ١ / ٦٣ .

٢) ينظر : ديوان ابن زمرك الأندلسي : حقق الديوان وقدم له ووضع فهارسه د . محمد توفيق النيفر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م : ٦٤ .

٣) المصدر نفسه : ٦٤ ، وينظر الصفحات من الديوان : ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ إذ تسير هذه الصفحات على وفق ما تم عرضه من أبيات الدراسة لذا اقتضى البحث الاشارة إليها .

٤) ديوان ابن زمرك : ٧٠ .

٥) ينظر : عقدة اللون في شعر عنترة وسحيم دراسة موازنة : حسين عبد الزهرة زبون ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٧م : ٤٥ .

٦) ديوان ابن زمرك : ٧٥ .

٧) ينظر : ابن زمرك الأندلسي بين الوشاح والشاعر : د أحمد حمد النعيمي ، مجلة الموروث ، ع ٤ ، ٢٠١٤ م : ٣٩٦ ، وينظر: حياة وآثار ابن زمرك : حمدان حجاجي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، دط ، دت : ٧١ .

٨) ديوان ابن زمرك : ٤٣ .

٩) ينظر : الموسوعة النفسية علم النفس في حياتنا اليومية : د . عبد المنعم الحفني ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٥م : ٨٢ .

١٠) ديوان ابن زمرك : ٥٠٨ ـ ٥٠٩ .

١١) المصدر نفسه : ٥٠ .

١٢) النور والظلام في شعر البحتري : د نوزاد شكر الميراني ، دار الزمان ، سوريا ، ط١ ، ٢٠١٠م: ١٨٠ .

١٣) ديوان ابن زمرك : ٤٦٩ .

١٤) ينظر: سيميائية الألوان في القران : كريم شلال الخفاجي ، دار المتقين ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢ م: ٩٧ . ، وينظر: صورة اللون في الشعر الأندلسي دراسة دلالية وفنية : د حافظ المغربي : ٢١٦ .

١٥) ديوان ابن زمرك : ٤٦٦ .

١٦) ابن زمرك الأندلسي بين الوشاح والشاعر: د أحمد حمد النعيمي : ٣٨٨ .

١٧) ينظر: ألفاظ الالوان ودلالاتها عند العرب : إبراهيم محمود خليل ، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مج ٣٣ ، ع٣ ، ٢٠٠٦م: ٤٤١ .

١٨) ديوان ابن زمرك : ٤٤١ .

١٩) ألفاظ الالوان ودلالاتها عند العرب : إبراهيم محمود خليل : ٤٤٤ .

٢٠) ديوان ابن زمرك : ٤٥٥ .

٢١) ينظر: قصيدته في بيان جمال غرناطة من الديوان : ٥٠٣ ـ ٥٠٤ .

٢٢) ديوان ابن زمرك : ٣٦٨ .

٢٣) التدرج اللوني خصيصة تشكيلية في شعر ابن خفاجة : صالح ويس محمد : مجلة جامعة زاخو، مج ١ ، ع١ ، ٢٠١٣م : ١٩٩ .

٢٤) ديوان ابن زمرك : ٣٨٥ ــ ٣٨٦.

٢٥) المصدر نفسه : ٤٥٦ .

* أبو العباس المريني : هو أحمد بن سالم المريني سلطان المغرب بويع له بمداخلة الغني بالله سنة ٧٧٦هـ : ينظر: الأحاطة في اخبار غرناطة : ابن الخطيب : ٤٢/١ ـ ٤٣ ، وهامش ديوان ابن زمرك : ٣٣١ .

٢٦) ديوان ابن زمرك : ٤٣٤.

٢٧) الدلالة الإيحائية للألوان وأثرها النفسي في نهج البلاغة : د سليمة جبار غانم : ٥١ .

٢٨) سورة الناس : ١ ـ ٥ .

٢٩) للمزيد من التفصيلات ينظر : ديوان ابن زمرك : فهرس للنقوش والرقوم والطرز المحلاة بأشعاره : ٦١٣ ، وينظر : حياة الشعر في نهاية الأندلس : د . حسناء بوزويتة الطرابلسي ، دار محمد علي الحامي ، ومركز النشر الجامعي ، تونس ، ط١ ، ٢٠٠١ : ٤١٥ ـ ٤٢٤ .

٣٠) ديوان ابن زمرك : ٤٦٢ .

٣١) المصدر نفسه : ٤٣٦ .

٣٢) المصدر نفسه : ٤٧٤ .

* المستعين بالله النصري هو محمد السابع الذي تقلد منصب الحكم بعد وفاة أبيه الغني بالله وأخيه يوسف الثاني : ينظر ديوان ابن زمرك : ١٦ .

٣٣) ديوان ابن زمرك : ٤٩٦ .

٣٤) المصدر نفسه : ٥٤١ .

٣٥) ينظر : الدلالة الإيحائية للألوان وأثرها النفسي في نهج البلاغة : د سليمة جبار غانم ، و أحلام عبد المحسن ، مجلة آداب ذي قار، ع ١٠ ، ٢٠١٣م : ٥٠ .

٣٦) ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب :١٤٧/١ ، وغرناطة في ظل بني الأحمر : يوسف شكري فرحات ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٣م: ١٦٩ .

٣٧) صورة اللون في الشعر الأندلسي دراسة دلالية وفنية : د حافظ المغربي ، دار المناهل ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٩ : ٢٢٨ .

* وهو قصر ابتناه الغني بالله أضيف إلى قصوره وهو فضاء للمشاورة : ينظر: ديوان ابن زمرك : ٣٦٥ .

٣٨) ديوان ابن زمرك : ٣٦٥ .

٣٩) المصدر نفسه : ٣٦٢ .

٤٠) المصدر نفسه : ٥٣٨ .

٤١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : المقري : ٨٠/٦ .

٤٢) ينظر: ديوان ابن زمرك : ٣٦٩ .

* يوسف الثاني : ابن الغني بالله تقلد منصب الحكم بعد أبيه سنة ٧٩٣هـ وعزل ابن زمرك واودعه معتقل بقصبة المرية وبقي في السجن عشرين شهراً ، ثم اعاده يوسف الثاني إلى البلاط لأسباب منها حظوته لدى أبيه ، أو لطول المعاشرة بينه وبين ابن زمرك . ينظر ديوان ابن زمرك : ١٦ .

٤٣) ديوان ابن زمرك : ٣٧٥ .

٤٤) ينظر: ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم : نضال الأميوني دكاش ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط٢ ، ٢٠٠٩م : ١٩٥ .

٤٥) علاقة اللون بالصورة الشعرية في شعر ابن خفاجة الأندلسي ٤٥٠ ـ ٥٣٣ هـ : زاهر بن بدر الغسيني ـ جامعة السلطان قابوس ، سلطنة عمان ، ع٢٠ ، ٢٠١٣م : ١٠٧ .

٤٦) سورة مريم : ٤ .

٤٧) ديوان ابن زمرك : ٤٨٩ .

٤٨) سورة القدر: ١ ـ ٣ .

٤٩) ينظر : الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية : امحمد الملاخ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف ، ط١ ، ٢٠٠٩م: ٤٨٦ .

٥٠) ديوان ابن زمرك : ٤٤٠ .

* القصر السلطاني أو قصر شنيل في نهر شنيل : أحد قصور غرناطة ، ونهر شنيل من أنهار الأندلس ينبع من جبال شلير ويصب في الوادي الكبير ويمر قرب غرناطة وضفافه غاصة بالحدائق : وللمزيد من التفصيلات ينظر : الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والأندلس دراسة تأريخية أثرية : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٧ : ١٧٥ ـ ١٧٨ . و الإحاطة في أخبار غرناطة : ابن الخطيب : ١١٨/١

٥١) ديوان ابن زمرك : ٤١٧ .

٥٢) صورة اللون في الشعر الأندلسي دراسة دلالية وفنية : د حافظ المغربي : ١٤٩ .

٥٣) ينظر : الزمن في الشعر العراقي المعاصر مرحلة الرواد : د سلام كاظم الأوسي ، دار المدينة الفاضلة ، العراق ، ط١ ، ٢٠١٢ : ٢٤٠ .

٥٤) ديوان ابن زمرك : ٤٤٣ ــ ٤٤٤ .

٥٥) صورة اللون في الشعر الأندلسي دراسة دلالية وفنية : د حافظ المغربي : ١٥٤ ، وينظر: الليل في الشعر الجاهلي دراسة نصية : د . رمضان عامر ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٨م : ١٠١ ـ ١٠٢ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ــ الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والأندلس دراسة تأريخية أثرية : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٧ .

ـ ابن زمرك الأندلسي بين الوشاح والشاعر: د أحمد حمد النعيمي ، مجلة الموروث ، ع ٤ ، ٢٠١٤ .

ـ الأحاطة في أخبار غرناطة : لسان الدين ابن الخطيب ، حققه ووضع وقدمته وحواشيه : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٤م .

ـ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المقري ، صندوق إحياء التراث الإسلامي ، الأمارات والمغرب ، ١٩٨٧م .

ـ ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب : إبراهيم محمود خليل ، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مج ٣٣ ، ع٣ ، ٢٠٠٦م .

ـ التدرج اللوني خصيصة تشكيلية في شعر ابن خفاجة : صالح ويس محمد : مجلة جامعة زاخو ، مج ١ ، ع١ ، ٢٠١٣م .

ـ حياة الشعر في نهاية الأندلس : د . حسناء بوزويتة الطرابلسي ، دار محمد علي الحامي ، ومركز النشر الجامعي ، تونس ، ط١ ، ٢٠٠١ .

ـ حياة وآثار ابن زمرك : حمدان حجاجي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، دت

ـ الدلالة الإيحائية للألوان وأثرها النفسي في نهج البلاغة : د سليمة جبار غانم ، و أحلام عبد المحسن ، مجلة آداب ذي قار ، ع ١٠ ، ٢٠١٣م .

ـ ديوان ابن زمرك الأندلسي (٧٣٣ ـ ٧٩٧هـ) حقق الديوان وقدم له ووضع فهارسه : د . محمد توفيق النيفر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .

ـ الزمن في الشعر العراقي المعاصر مرحلة الرواد : د سلام كاظم الأوسي ، دار المدينة الفاضلة ، العراق ، ط١ ، ٢٠١٢م .

ـ الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية : امحمد الملاخ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف ، ط١ ، ٢٠٠٩ م.

ـ سيميائية الألوان في القران: كريم شلال الخفاجي ، دار المتقين ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢ .

ـ صورة اللون في الشعر الأندلسي دراسة دلالية وفنية : د حافظ المغربي ، دار المناهل ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٩م .

ـ ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم : نضال الأميوني دكاش ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط٢ ، ٢٠٠٩م .

ـ عقدة اللون في شعر عنترة وسحيم : حسين عبد الزهرة زبون دراسة موازنة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٧ م.

ـ علاقة اللون بالصورة الشعرية في شعر ابن خفاجة الأندلسي ٤٥٠ ـ ٥٣٣ هـ : زاهر بن بدر الغسيني ـ جامعة السلطان قابوس ، سلطنة عمان ، ع٢٠ ، ٢٠١٣م .

ـ غرناطة في ظل بني الأحمر: يوسف شكري فرحات ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٣م .

ـ الليل في الشعر الجاهلي دراسة نصية : د . رمضان عامر ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : المقري ، تح د . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م .

ـ النور والظلام في شعر البحتري : د نوزاد شكر الميراني ، دار الزمان ، سوريا ، ط١ ، ٢٠١٠م .

ـ الموسوعة النفسية علم النفس في حياتنا اليومية : د . عبد المنعم الحفني ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٥م .